فاحذروا ناراً قعرها بعيد، وحرّها شديد، وعذابها جديد، دار ليس فيها رحمة، ولا تسمع فيها دعوة، ولا تفرّج فيها كربة» (٢٦٦) - «واعلم أن أمامك عقبة كؤوداً، المخفّ فيها أحسن حالاً من المثقل، والمبطئ عليها أقبح حالاً من المسرع، وأن مهبطك بها لا محالة، إما على جنة أو على نار، فارتد لنفسك قبل نزولك، ووطّئ المنزل قبل حلولك، فليس بعد الموت مستعتب، ولا إلى النار منصرف» (٢٧٠) - فـ «ما خير بخير بعده النار، وما شر بشر بعده الجنة، وكل نعيم دون الجنة فهو محقور، وكلّ بلاء دون النار عافية» (٣٨٧ ح).

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾﴾:

وإذا كان ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ﴾[1] هنا، ثم أخذهم يوم القيامة في النار وبئس القرار ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ﴾: ترددا في عبادتهم وما يعبدونه أنه خطأ وخطل ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ﴾ تقليدياً أعمى ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ من العذاب ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ عما يستحقونه.

وترى أنه ﷺ تردد يوماً مّا فيما يعبد هؤلاء؟ وهو رسول التوحيد! كلّا، ولكنه طمأنة زائدة لقلبه المنير أمام هؤلاء الألداء الأشداء، الذي يحاولون أن يجذبوه إلى أنفسهم، أم يجعلوه في مرية وتردد من أمرهم، هل هم على وشك الاهتداء أم هم على ما هم عليه من ذلك الاقتداء، فلا يتسرّب إلى نفسك شك في فساد ما يعبد هؤلاء، فالخطاب للرسول والتحذير لقومه، إيحاء بأنها قضية موضوعية بينها الله لرسوله المرسل لهداهم، دون أن يخاطب به المتلبسين بها، إهمالاً لهم وقلة انشغال بهم، ثم في وجه عام

(١) سورة هود، الآية: ١٠٢.

قد يعنى كل مخاطب قد يشك في أمرهم دون اختصاص بالرسول ﷺ ولا مساس به في واقع الخطاب.

﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ عن نصيب آباءهم، مهما لم يعذبوا هنا بعذاب الاستئصال حيث يدخر لهم ليوم الحساب.

ثم لأن الممارة هي المحاجة فيما فيه تردد، إذا ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ قد تعني إلى ما عنته ألّا تحاجهم بعد الذي تبين لك أنهم مخلدون إلى أهواءهم وشهواتهم وتقاليدهم العمياء، فـ ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[1] ثم ولا تحزن لما ذا يختلفون في رسالتك وكتابك فإنه دأب دائب بين ناكري الرسالات على مدار الزمن:

ذلك ومهما يكن من شيء فلا ريبة ألّا ريبة لرسول اليقين فيما يعبد هؤلاء، فلا يخاطب بذلك النهي إلّا من باب: إياك أعني واسمعي يا جارة، وهو القائل: «سلوا الله العافية فإنه لم يعط أحد أفضل من معافاة بعد يقين وإياكم والريبة فإنه لم يؤت أحد أشر من ريبة بعد كفر»[2] حيث الريبة في الحق هي من مزالق وأشراف الكفر.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾﴾:

﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ﴾ تصديقاً وتكذيباً، ثم اختلف فيه بين المصدقين به بعدما جاءهم البينات، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ أن لهم أجلاً يمتّعون فيه، وأن الدنيا هي دار إمتحان وعمل والآخرة هي دار الجزاء فـ ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[3] وهو ﴿أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا

(١) سورة الكافرون، الآية: ٦.
(٢) الدر المنثور ٣: ٣٥١ - أخرج ابن مردويه عن أبي بكر قال قام فينا رسول الله ﷺ فقال: . .
(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٦.

جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ﴾[1] إذاً ﴿لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ هؤلاء المختلفين في الكتاب ﴿وَإِنَّ هُمۡ﴾ أولاء الأمة الموسوية، وهؤلاء الذين أرسلت إليهم من أمتك ﴿لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ﴾: الكتاب ﴿مُرِيبٖ﴾[2].

فالشك قد يريب وقد لا يريب، فالذي يريب هو أنكر وأخطر على كتلة الإيمان، حيث يريب البسطاء في حق الكتاب فيخيّل إليهم أن شكهم مسنود إلى حجة.

وهنا شك مريب للذين أوتوا الكتاب من حملته الأولين بعدما جاءهم العلم كما في آية الشورى، والبينات كما في آية البقرة: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ﴾[3]، حيث يظهرون أن شكهم مسنود إلى دليل فيضللون البسطاء.

ثم شك مريب للبسطاء والوسطاء في معرفة الكتاب حيث يستند إلى الكتاب الخليط من الغث والسمين والخائن والأمين.

وهذان الشكان المريبان هما مجتمعان في أهل الكتاب، وأما الشاكون في القرآن فليس لهم شك مريب إلّا من القبيل الأول، حيث القرآن بنفسه لا

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١٤.

(٢) نور الثقلين ٢: ٤٠٠ في روضة الكافي عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ﴾ [هُود: ١١٠] قال: اختلفوا كما اختلف هذه الأمة في الكتاب وسيختلفون في الكتاب الذي مع القائم عليه السلام الذي يأتيهم به حتى ينكره ناس كثير فيقدمهم فيضرب أعناقهم، وأما قوله: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ...﴾ [الشّورى: ٢١] قال: لولا ما تقدم فيهم من الله عزّ ذكره ما أبقى القائم منهم أحداً.
أقول: الكتاب الذي مع القائم عليه السلام هو الكتاب الذي معنا ولكنه يفسره ويؤوله التفسير والتأويل الحق وهما يخالفان الفتاوى غير المسنودة إلى الدلالة الصالحة للكتاب، فلذلك ينكره ناس كثير. ومنهم المتورطون في غير القرآن من أدلة الأحكام.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

ريب فيه ولا شبهة تعتريه، وإنما يتظاهر الشاكون فيه بأنهم يسندون إلى ما يريب، كأن لشكهم سند منه يريب!.

وترى كيف قضي بين جموع من المكذبين وبين المرسلين، إذا كان القضاء بينهم يختص بيوم القضاء؟ قد يعني ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ ذلك القضاء الحاسم المخصوص بيوم القضاء، توفية لأعمال كلّ من الصالحين والطالحين، كما:

﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾:

ولأن الإختلاف في الكتاب قد يقتضي قضاء حاضراً يوم الدنيا كلمحة من القضاء يوم الدين وقد لا يقتضي، فقد يقضي على المكذبين شطراً هنا قبل توفيته يوم الدين، وأخرى يقضي - فقط - عليهم يوم الدين، ولا يعني ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ للكل إلّا قضاء يوم الدين، ولا لبعض المكذبين إلا شطراً منه يوم الدنيا، حيث سبقت كلمة الله بمختلف القضاء على من يستحقه، ثم هم على سواء في توفي القضاء يوم الدين.

وهنا ﴿لَّمَّا﴾ جازمة زمانية حذف مدخولها لمعرفته وهو: يأت زمن توفيتهم، وهو يوم القيامة، المعروفة من ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ ﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ لا تعزب عنه أعمال لطول الأمد.

وهنا ﴿كُلًّا﴾ تعني كلا من المختلفين في الكتاب والمكذبين، أصلاء أم تابعين، سابقين أم لاحقين ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ كما عملت ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[1] فالمستأصلون يوم الدنيا ليسوا كالمؤجلين إلى يوم الدين، وإنما ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

ذلك، فعليك يا رسول الهدى، الحامل لأثقال الرسالات كلها، المتحمل الأذيات والصعوبات كلها، وأنت تسمع أنباء الأمم الماضية وما

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

واجهوا به الرسل الماضين، ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾[1] ولذلك:

﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢﴾:

وهذه الآية مما شيبت رسول الله ﷺ أكثر من آية الشورى التي اعتبرت في حديثه من أخواتها، حيث قال: «شيبتني سورة هود وأخواتها» ولماذا؟.

لأن آية الاستقامة في الشورى تختص به ﷺ نفسه، وآية هود هذه تضيف إليه ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ فهي كـ ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾[2] أن ينقطع إلى الله انقطاعاً جماعياً يبتّل غيره به كما يبتل نفسه ﷺ إلى الله تبتيلاً.

وهنا ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ في رسالتك ودعوتك وتصبّرك على كل أذى ولظى، لا فحسب أنت، بل ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ عليك أن تقيمهم كما تقيم نفسك فتصبح بمن تاب معك جمهرة الاستقامة القيمة التي أمرت بها، أن تصنع كنفسك آخرين تابوا معك إلى الله، فإن يداً واحدة لا تصفق، وإن يد الله مع الجماعة.

وهنا وهناك الاستقامة هي طلب إقامة أمر الله كما يحق ويرضاه الله و«لا يقيم أمر الله إلا من لا يصانع ولا يضارع ولا يتبع المطامع» (الحكمة ١٠٨) والأصل في هذا الحقل هو الرسول ﷺ وذووه المعصومون عليهم السلام الذين يقول عنهم أولهم: «نحن النمرقة الوسطى، بها يلحق التالي وإليها يرجع الغالي»[3].

(١) سورة الشورى، الآية: ١٥.
(٢) سورة المزمل، الآية: ٨.
(٣) (الحكمة ١٠٧).

لذلك لما نزلت ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ قال ﷺ: شمروا شمروا فما رؤي ضاحكاً»[١] وهكذا «شيبتني هود» لمكان قوله ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾[٢] ثم «وأخواتها»[٣] ومنها الشورى لنفس آية الاستقامة ولكن أين استقامة شخصية فيها وجماهيرية كلف بها الرسول ﷺ مع نفسه كما هنا؟!.[٤]

وتراه يؤمر هنا بأن يقيم من تاب معه، وليست الإقامة في واقعها إلّا من الله، وإنما عليه البلاغ؟ القصد هنا أن يبالغ في بلاغ الدعوة القيمة، تكريساً لكافة طاقاته الرسولية والرسالية، ثم ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ لا تعني:

أقم من تاب معك، بل إن قضية العطف «وليستقم من تاب معك» بمساعيهم، ولكنها على ضوء مساعيك في هذه الرحلة القيمة المقيمة.

فالقمة العالية مما شيبته من السور هي هود لمكان هذه الآية، حيث يحس ﷺ برهبته وقوته في تتمة حياته وهي أثقل من سائرها مسؤولية ثقيلة.

فالاستقامة كما أمره الله تعالى ومن تاب معه، هي بحاجة إلى تكريس كل الإمكانيات الروحية والعملية، مضياً على نهج الحق المطلق دونما

---

(١) الدر المنثور ٣: ٣٥١ - أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الحسن قال: . .

(٢) المصدر ٣: ٣١٩ عن أبي علي السري قال: رأيت النبي ﷺ فقلت يا رسول الله ﷺ روي عنك أنك قلت: شيبتني هود؟ قال: نعم، قلت: فما الذي شيبك منه، قصص الأنبياء وهلاك الأمم؟ قال ﷺ: لا ولكن قوله: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هُود: ١١٢].

(٣) المصدر عن أبي بكر قال قلت يا رسول الله لقد أسرع إليك الشيب؟ قال: شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت، وبنقل آخر قلت: يا رسول الله ﷺ عجل إليك الشيب؟ قال: شيبتني هود وأخواتها والواقعة والحاقة وعم يتساءلون وهل أتاك حديث الغاشية، وفي ثالث إضافة القارعة وسأل سائل.

(٤) فهن أخوات هود غير المذكورة هي الشورى.
وفي المجمع عن ابن عباس قال: ما نزل على رسول الله ﷺ آية كانت أشد عليه ولا أشق من هذه الآية ولذلك قال لأصحابه حين قالوا له: أسرع إليك الشيب يا رسول الله ﷺ؟: شيبتني هود والواقعة.

انحراف وانجراف، ولا تزعزع وتلّكأ، وإلى يقظة دائبة رسولية، وكدح دائم رسالي ليصنع الآخرين بما صنع نفسه المقدسة، ضبطاً للانفعالات البشرية التي تمّيل الاتجاه كثيراً أو قليلاً.

فليس قول ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ يكفي سلوكاً سليماً في سبيل الله، وإنما ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ حتى ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾[1].

وكلما كانت المسؤولية أثقل، فالاستقامة في تحقيقها وتقويمها أعضل، ولا سيما حين تضاف إليها مسؤوليات لآخرين باستقاماتهم، فلذلك نسمع الرسول ﷺ يقول: «شيبتني هود» على عصمته الرسالية ورقابته العالية الدائبة.

ففي الفترات الأخيرة من عمره الرسولي - وهي أهم فتراته - حين ينفض يديه عن بلاغه الرسالي العظيم، عليه أكثر مما مضى أن يستقيم كما امر ومن تاب معه.

فقد نجده ﷺ يؤمر في بداية أمره بالقيام ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾[2] وهنا في النهاية ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ ووسطاً بين الأمرين ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ دون ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ مرحلية في مواجهة عراقيل الدعوة بقيام واستقامة شخصية، وثم استقامة جماهيرية، طلباً لكل قوامة وقيام من نفسه ومن الآخرين لإقامة الهيكل الإسلامي السامي على أساس قويم قويم لا ينهدم، وبعروة وثيقة لا تنفصم.

وهنا ﴿كَمَآ أُمِرْتَ﴾ إشارة إلى أمر الاستقامة في الشورى بزيادة ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ هنا، وأخرى إلى سائر الأمر في ذلك الحقل كـ: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ

(١) سورة فصلت، الآيات: ٣٠-٣٢.
(٢) سورة المدثر، الآية: ٢.

لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[١] ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾[٢] ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾[٣].

فقد عاش ﷺ حياته الرسولية قياماً واستقامة في الدعوة بكل واجباتها وواجهاتها، ولكنه هنا يؤمر بما أمر من ذي قبل وزيادة ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ وهي التي شيبته إذ كلف مع نفسه غيره.

هنا ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ معطوفة على ضمير الفاعل في «استقم» فقد تعني وليستقم من تاب معك، حيث هو المسؤول عن استقامتهم بما يتكلف من تقويمهم هكذا.

ثم ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾ والقصد منه وجاه الاستقامة تركها، فكما الاستقامة من التقوى، كذلك تركها من الطغوى ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

ذلك، فعدم الطغوى وعدم الركون إلى الذين ظلموا ثم إقام الصلاة ومن ثم الصبر، هذه الأربع هي من معدات الاستقامة كما أمروا، وقد لا تعنى هذه المعدات الرسول ﷺ إلى من تاب معه فإنه معصوم عن ترك واجباتها واقتراف محرماتها، ولذلك أتي بالجمع، دون جمع بينه وبين من تاب معه كما في ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾.

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾:

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ في سبيل الاستقامة وتحصيلها حيث الغاية لا تبرر الوسيلة، فمحظور الركون إلى الظالمين مستقل في حرمته غير مستغل على عرامته، سواء يستغل به لأمر محبور كالاستقامة في أمر الدين، أم لأمر محظور فوا ويلاه، والركون «إلى» هو جعله ركناً يعتمد عليه، مائلاً إليه.

(١) سورة يونس، الآية: ١٠٥.
(٢) سورة الروم، الآية: ٣٠.
(٣) سورة الروم، الآية: ٤٣.

وهنا ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ تعني نار الذين ظلموا هنا وفي الأخرى حيث الركون إليهم دخول في ربعهم فشمول لنارهم إياكم كما شملتهم مهما اختلفت الدركات حسب الظلامات.

ثم ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ إن ركنتم إلى الذين ظلموا ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ من الله حيث تركتم الركون إليه وإلى أهل الله، ولا من دون الله إذ لا يقدر أحد أن ينصر الخارج عن ولاية الله.

ذلك، فحتى رجاء بقاء الذين ظلموا ظلم ونار، فضلاً عن الركون إليهم حيث فيه حب بقاءهم، فالظالم يطارد في كافة الحقول كفرض جماهيري على الكتلة المؤمنة، فكيف يركن إليه في سبيل الإيمان والاستقامة فيه، أم وسواه لا سمح الله؟![1].

ثم الاستقامة في سلوك مسلك الحق هي بحاجة إلى قوامة الحق وتقريره، وإزالة الباطل وتهديره، فكيف يركن في هذه السبيل إلى قاطعيها بظلم أياً كان.

والركون إلى الظالمين تصديقاً لوعدهم وما أشبه محظور في كثير وقليل، وقد سلبت قلته تثبيت الله عن النبي ﷺ نفسه فيما هو مظان ركونه إلى وعودهم الخاوية أنهم في سبيل الإيمان: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾[2].

فمحظور الركون إلى الظالمين معلّل بظلمهم، ركوناً إلى علومهم

(١) نور الثقلين ٢: ٤٠٠ في الكافي عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد رفعه عن أبي عبد الله عليه السلام في الآية قال: هو الرجل يأتي السلطان فيحب بقاءه إلى أن يدخل يده كيسه فيعطيه.
وفيه عن الخصال عن الحسين بن علي عليه السلام قال: إن رسول الله ﷺ أوصى علي بن أبي طالب عليه السلام فيما كان أوصى به أن قال: لا تركن إلى ظالم وإن كان حميماً قريباً.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان: ٧٤، ٧٥.

ووعودهم فضلاً عن حكمهم وإمرتهم، فلا يركن المؤمن العائش سبيل الله، إلّا إلى الله، وإلى أهل الله وبإذن الله، وكيف يركن إلى الظالم نفسه وسواه، ولا ركون إلى العادل ما لم يتثبت عدم خطإه؟.

وترى الركون إلى الظالمين فقط يُدخل النار أو يخلّد في النار؟ كلّا، وإنما ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ قدر مساس الركون إليهم»[١] ولأن مس النار دركات فهي حسب دركات الركون إلى الظالمين، فقد يعبر عن الدخول والخلود بالمس كـ: ﴿لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢] ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾[٣] ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٤].

فلأن الركون إلى الظالمين لا يحتّم دخول النار أو الخلود فيها لأنه دركات، عبّر هنا عن خلفيته بـ «تمسسكم النار» لكي يتسع النطاق تحليقاً على كل دركات الركون إليهم.

ذلك، فالركون إلى الظالمين في أي ركن من الأركان الحيوية، عقيدية أو ثقافية أو أخلاقية أو سياسية أو اقتصادية أو عسكرية أم جماعية، إنه ركون إلى النار، وفي حين أن كتلة الإيمان مأمورة بكل تأكيد بمجابهة الظلم على أية حال، فكيف يسمح لها أن يركن إلى الظالمين على أية حال، مهما كان تذرعاً إلى خير فضلاً عما سواه.

فكما الآية السالفة نهت عن الطغيان وهو ظلم أياً كان، فهذه تنهى عن الركون إلى الظالمين توحيداً لركن الإيمان بالله دون أي دخيل، وهما من أركان الاستقامة فردية وجماهيرية في حقل صالح الإيمان.

---

(١) نور الثقلين ٢: ٤٠٠ في تفسير العياشي عن أبي عبد الله عليه السلام في الآية قال: أما إنه لم يجعلها خلوداً ولكن تمسكن فلا تركنوا إليهم.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٣.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٤٩.
(٤) سورة هود، الآية: ٤٨.